مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 12، عدد رقم: 01، مارس 2023، صص: 123- 136

تاريخ الاستلام(2022/07/01)تاريخ القبول (2023/03/24)تاريخ النشر (2023/03/30)

النقد الموضوعاتي من منظور الناقد محمد السعيد عبدلي

Thematic Criticism from the Critic Mohammed Al-Saeed Abdelli Perspective

عمر بهيليل[1]، محمد السعيد عبدلي[2]

[1] جامعة الدكتور يحي فارس، المدية(الجزائر)، omarbehilil6@gmail.com

[2] جامعة البليدة2، (الجزائر)، saidabdelli45@yahoo.fr

ملخص:

تُعد المقاربة الموضوعاتية إحدى المناهج النقديّة الحديثة التي تهدف إلى استقراء النصوص الأدبيّة بُغية الكشف عن النواة الرحمية التي انبثقت عنها النتاجات الأدبيّة، وقد استرعت هذه المقاربة اهتمام العديد من الدارسين. إذ يعتبر الدكتور محمد السعيد عبدلي من الباحثين المهتمين بشكل كبير بهذه المقاربة النقديّة،فقد حمل على عاتقه مهمة تقديم هذا المنهج في صورة واضحة إلى جمهور القراء والمتخصصين في مجال الدراسات الأدبيّة والنقديّة. وتسعى هذه الدراسة إلى إبراز إسهامات الدكتور محمد السعيد عبدلي في الكشف عن أسس ومرتكزات المنهج الموضوعاتي وآلياته التي يوظفها في تحليل النصوص الأدبيّة وتفسيرها، وكيف استطاع الباحث تقديم هذا المنهج في صورته الصحيحة للوالجين إلى حقل الدراسات النقديّة الأدبيّة.

كلمات مفتاحية:المقاربة الموضوعاتية؛ المنهج؛ النواة الرحميّة؛ مرتكزات؛ تحليل؛ تفسير.

المؤلف المرسل: عمر بهيليل، **الإيميل:** omarbehilil6@gmail.com

Summary:

The thematic approach is one of the modern critical approaches aimed at extrapolating literary texts in order to reveal the intrauterine nucleus from which literary products have emerged. This approach has attracted the attention of many scholars. Dr. Mohammed Al- Said Abdelli is a highly interested researcher in this critical approach. He has assumed the task of presenting this curriculum in a clear way to the audience of readers and professionals in the field of literary and critical studies. The current study seeks to highlight the contributions of Dr. Mohamed Al-Said Abdelli in revealing the foundations and anchors of the thematic curriculum and its mechanisms used in the analysis and interpretation of literary texts, and how the researcher was able to present this curriculum in his correct form to those involved in the field of literary critical studies.

Keywords: thematic approach; curriculum; uterine nucleus; anchors; analysis; interpretation

توطئة:

في ستينيات القرن العشرين شهدت الساحة النقديّة الحديثة ميلاد مسلكٍ نقديٍّ متميز يُعد من المناهج النقديّة الهامة التي تولي النص الأدبي اهتمامًا كبيرًا، حيث تتعرض له بالتحليل والتقصي بُغية الكشف عن النواة الرحميّة التي انبثق عنها النص الأدبي، ورغم كل ما يُقدمه هذا المنهج من خدمة جليلة للنصوص الأدبيّة إلاّ أنّ حظه من الدراسة والتطبيق لا يزال ضئيلا. وقد لقي هذا المنهج اهتمامًا من قبل بعض الدارسين والنُقاد العرب الذين حاولوا قُصارى جُهدهم أن يُقدموا هذا المنهج في صورة واضحة إلى جمهور القُراء وخاصة المُهتمين منهم بالدراسات النقديّة الأدبيّة. ومن بين هؤلاء الدارسين والنقاد العرب نذكر: سعيد علوش وحميد لحمداني وعبد الكريم حسن، ومن الجزائر الدكتور يوسف وغليسي وكذا الدكتور محمد السعيد عبدلي، ويعتبر هذا الأخير من الباحثين المُهتمين بشكل كبير بالنقد الموضوعاتي وقد ساهم بقدر وافرٍ في إماطة اللثام عن هذا المنهج، وذلك بشرح مرتكزاته وآلياته التي يُسخرها لِخدمة النص الأدبي.

فما هي إسهامات هذا الباحث في الكشف عن أسس ومرتكزات هذا المنهج وآلياته التي يُوظفها في تحليل النصوص الأدبيّة وتفسيرها؟ وكيف استطاع أن يُقدم هذا المنهج في صورة واضحة؟

يُعد النقد الموضوعاتي إحدى المقاربات النقديّة المُتميِّزة التي ظهرت في الساحة النقديّة حديثًا حيث تكشف بعض كتب النقد عن الميلاد الفعلي لهذا

الاتجاه النقدي، والذي يعود إلى ستينيات القرن المنصرم. وبالتحديد في فرنسا، إذ أنّ الفضل الكبير في ظهوره يرجع إلى الفرنسي " جون بول ويبر (Jean Paul Weber)" وكذا "جون بيار ريشار (Jean Pierre Richard)" .

كما كان للفكر الظاهراتي بالغ الأثر في تجلي النقد الموضوعاتي، حيث إنّ الفيلسوف الفرنسي "غاستون باشلار(Gaston Bachelard)" يُعد كذلك علمًا من أعلام هذا المسلك النقدي، وقد تشرّب هذا المنهج أيضًا من أفكاره وتوجُّهاته النقديّة حيث يُشير إلى ذلك الدكتور محمد السعيد عبدلي بقوله: «يأخذ المنهج الموضوعاتي منبعه الفكري من الفلسفة الظاهراتية (Laphénoménologie) التي يتزعمها الفيلسوف الألماني "إدموند هو سرلEdmond Husserl (1858ـ 1939)"»[1].

وهذا ما ذهب إليه كذلك الدكتور يوسف وغليسي بقوله:« وقد نشأ هذا المنهج في أحضان الفلسفة الظواهرية، وتغذى على أفكار الفيلسوف الفرنسي "غاستون بشلارGaston Bachelard(1884ـ 1962) " الذي يشكل(المصدر النظري لمفهوم ومصطلح النقد الموضوعاتي) كما يقول أحد الدارسين، ونما وتطور ابتداء من ستينيات القرن العشرين، في بيئة نقدية فرنسية أساسًا»[2].

ولذلك نجد أن البعض من النقاد والدارسين يطلقون تسمية "النقد الظاهراتي" على المنهج الموضوعاتي وذلك لارتباطه بهذه الفلسفة.

وبعد هذه التوطئة البسيطة لابد أن نشير إلى مفهوم هذا المنهج النقدي وآلياته التي يختص بها في فهم وتأويل النتاجات الأدبية، ولعلّ الكثير من الوالجين إلى حقل الدراسات النقديّة يجدون صعوبة في فهم هذا المنهج لأنّه ليس من اليسير الوقوف بدقة على تحديد مفهوم واضح للنقد الموضوعاتي والأمر في ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى تميّز هذا المنهج بالغموض والإبهام بسبب تعدد مدلولاته الاشتقاقية والاصطلاحية، وقد وردت هذه الحقيقة على لسان الدكتور جميل حمداوي: «ومن الصعوبة بمكان، تحديد المفهوم اللغوي للنقد الموضوعاتي بكل دقة ونجاعة؛ نظرا لتعدد مدلولاته الاشتقاقية والاصطلاحية. ومن ثم فليس هناك ما هو أكثر إبهاما من الموضوعاتي، حتى ونحن نعود إلى جذر الكلمة في استقصاءٍ لدلالاتها وقراباتها الضمنية والخفية، واكتشافاتها للبنيات الفكرية للأعمال»[3] .

من هنا كان النقد الموضوعاتي يتسم بتعدد مفاهيمه، وذلك بحسب توجهات النّقاد والخلفيات والمرجعيات التي يستندون عليها في الوقوف على حقيقة هذا المنهج، وإذا أردنا الوقوف على المفهوم اللغوي والاصطلاحي للمنهج الموضوعاتي نجده قد ارتبط ارتباطاً وثيقًا بكلمة موضوع فضروري جدًّا أن نقف عند حدود كلمة "الموضوع" قبل الشروع في تبيان ماهية النقد الموضوعاتي وهذا ما سيأتي بيانه فيما يلي:

تحديد مفهوم كلمة "الموضوع":

جاء في معجم لسان العرب تحت كلمة موضوع: « الموضوع اسم مفعول: ما أُضمر ولم يُتكلم بهو المرفوع ما أظهره وتكلّم به»[4]. والوضع: ضد الرفع وضعه، يضعه وضعًا وموضوعًا، والموضوع: جمع موضوعات ومواضيع. أما الموضوع في محيط المحيط فهو :« الشيء الذي عُيّن للدلالة على المعنى والمُشار إليه إشارة حسيّة»[5]. كما نجد له كذلك تعريفًا في معجم الوسيط فالموضوع هو :«المادة التي يَبْنِى عليها المتكلم أو الكاتب كلامه»[6]. والموضوع: «اسم مخصوص بالعرض، يقال موضوع البياض والسواد وغير ذلك، ولا يقال موضوع الجوهر، بل محل الجوهر، وهو عبارة عن المبحوث بالعلم عن أعراضه الذاتية»[7]، إلى جانب ما ورد في قاموس لاروس (Larousse) إذ أن «كلمة موضوع (Théme) تُشير إلى معنى المادة (Matiére) وعلى العموم هي كذلك تُحيلنا إلى مفهوم الموضوع (Sujet)»[8].

أما في يتعلق بالمعنى الاصطلاحي لكلمة الموضوع فقد وردت له تعاريف كثيرة ومنها تعريف "ميشيل كولو(Michel Collot)" :« مدلول فردي خفيّ ومادي ويعبّر عن العلاقة الانفعالية لكائن مع العالم الحساس، يظهر ضمن النصوص من خلال تكرار متجانس للتبدلات، ويشترك مع موضوعات أخرى من أجل بناء الاقتصاد الدلالي والشكلي لعمل ما»[9]. فكلمة الموضوع بحسب هذا التعريف تُحيلنا إلى الشيء المُضمر الذي يعكس لنا حالة من الانفعال، ويتجلى من التكرار في العمل الأدبي. كما نجد الناقد "عبدلي" بعد قراءة ثاقبة لما أورده المتقدمون في تعريفهم للموضوع يورد له تعريفًا بسيطًا مختصرًا ولكنه جامع مانع نصه:« الموضوع هو المادة التي يشتغل عليها الفكر عمومًا، سواء عن طريق الكلام أوالكتابة »[10]. فيكون

بهذا التعريف قد أزاح عنّا الغموض والاضطراب الحاصلين في تحديد مفهو م كلمة " الموضوع ".

تحديد مفهوم النقد الموضوعاتي:

لقد أشرنا سالفًا إلى أنّ النقد الموضوعاتي يتميّز بالغموض والاضطراب، ومردُ ذلك لاختلاف الرؤى والتوجهات والزوايا التي يُنظر منها إليه، ولارتباطه الوثيق بكلمة الموضوع التي شهدنا اختلافًا في تحديد دلالتها، إلى جانب الترجمة غير الدقيقة من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية. فقد أشار الدكتور جميل حمداوي في معرض حديثه عن الأسس التي ينبني عليها النقد الموضوعاتي إلى العمل الذي تقوم به المقاربة الموضوعاتية:« تنبني المقاربة الموضوعاتية على استخلاص الفكرة العامة أو الرسالة المهيمنة أو الرهان المقصدي أو الدلالة المهيمنة أو البنية الدالة التي تتمظهر في النص أو العمل الأدبي، عبر النسق البنوي وشبكاته التعبيرية تمطيطًا وتوسيعًا أو اختصارًا وتكثيفًا، والبحث أيضًا عما يجسد وحدة النص العضوية والموضوعية اتساقًا وانسجامًا وتنظيمًا»[11]. فعمل المقاربة الموضوعاتية وفق هذا التعريف ـ رغم ما يكتنفه من غموض ـ يرتكز على استخلاص الفكرة العامة المهيمنة في النص والتي تساهم في تحقيق وحدته الموضوعية، وفي موضعٍ آخر يورد الدكتور جميل حمداوي تعريفًا نعتقد أنّه أوضح من تعريفه السابق للمقاربة الموضوعاتية نصه: « المقاربة الموضوعاتية هي التي تبحث في أغوار النص لاستكناه بؤرة الرسالة، مع التنقيب عن الجذور الدلالية المولدة لأفكار النص، قصد الوصول إلى الفكرة المهيمنة في النص وتحديد نسبة التوارد لتحديد العنصر المكرر فكريًا، سواء أكان ذلك في الشعر أم في النثر»[12]. وعلى هذا الأساس لا يمكن أن نخرج في ضبط عمل النقد الموضوعاتي من كونه بحث عن النواة والبذرة الأولى التي كانت سببًا في تشكّل النص الأدبي.

وبناءً على ما تقدم ذكره يمكن القول أنّ المقاربة الموضوعاتية تسعى إلى الكشف عن النواة التي انبثق عنها العمل الأدبي، وهذه النواة بحسب ما يذهب إليه "جون بول ويبر" لها علاقة وثيقة بعالم الطفولة، حينما يقول:« نعني بالموضوع الأثر الذي تتركه ذكرى الطفولة في ذاكرة الكاتب.»[13]. فالذكريات التي علقت في ذهن المبدع في صغره تتهادى إلى مُخيلته أثناء إنتاجه لعمله الإبداعي، فتكون بذلك

حاضـرة بشـكل خفـيٍّ في نصوصـه الإبداعيـة، وعمـل الناقـد الموضـوعاتي وفـق هـذا الطـرح يتمثـل في الكشـف عـن النـواة الرحمية التي كـان لهـا الفضـل في إخـراج هـذا العمل الأدبي إلى الوجود.

ويُعـد الـدكتور محمد السـعيد عبـدلي مـن البـاحثين المُجـدين القلائـل الـذين وقفـوا بصـدق علـى حقيقـة النقـد الموضـوعاتي، إذ أن العمـل الكبيـر، والجهـد المُضـني الـذي قـام بـه الـدكتور يُعتبر ـ لمـن اطّلـع عليـه ـ لبنـة أساسـية ومهمـة في الدراسـات العربيّـة التي كـان لهـا الفضـل الكبير في إزاحـة الغمـوض عـن هـذا المـنهج النقـدي الـذي عـانى الضـبابية والغـبش أمـدًا طـويلاً، وتعـود علاقـة الباحـث بهـذا المنهج ومعرفتـه لـه حينمـا اطّلـع علـى كتـاب "النقـد الموضـوعاتي" لسـعيد علـوش وكـذا كتـاب " الموضـوعية البنيويـة: دراسـة في شـعر السـياب" لعبـد الكـريم حسـن وكتـاب " سـحر الموضـوع" لصـاحبه حميـد لحمـداني وقـد أشـار الـدكتور محمد السـعيد عبـدلي أنّ هـذه المراجـع سـالفة الـذكر لـم تكـن كافيـة لبنـاء تصـور واضـح عـن المـنهج الموضـوعاتي بسـبب الغمـوض الـذي عرضـته بـه، بالإضـافة إلى عـدم إلمامهـا الجيّـد بكـل مـا يتعلّـق بهـذا المـنهج، وهـذا مـا اتضـح جليًّـا في قولـه:« تعـود بدايـة اكتشـافي للمـنهج الموضـوعاتي إلى اطلاعـي علـى كتـاب سـعيد علـوش " النقـد الموضـوعاتي" وكتـاب حميـد لحمـداني " سـحر الموضـوع " وكتـاب عبـد الكـريم حسـن " الموضـوعية البنيويـة: دراسـة في شـعر السـياب". فلقـد كانـت هـذه الكتـب هي المراجـع الأولى التي قامـت عليهـا علاقتي بهـذا المـنهج، إذ بفضـلها علمـت بوجـود مـنهج فـي النقـد الأدبـي يعـرف باسـم المـنهج الموضـوعاتي. ولكـن المعلومـات التي أمـدتني بهـا تلـك المراجـع لـم تكـن كافيـة لبنـاء تصـور واضـح عـن هـذا المـنهج، بـل هـي في بعـض الأحيـان تـدفع الباحـث للانصـراف عنـه والزهد فيه بسبب الغموض الذي عرضته به »[14].

والناقـد عبـدلي في الحقيقـة لا ينكـر فضـل هـذه المراجـع سـالفة الـذكر في تبيـان قائمـة الكتـب والمراجـع المتعلقـة بهـذا المـنهج والتي تُحيـل القـارئ عليهـا، ويخـص بالـذكر فـي هـذا الصـدد كتـب "جـون بيـار ريشـار (Jean Pierre Richard)" و"جـورج بـولي(Georges Poulet)" و"جـون بـول ويبـر(Jean Paul Weber)"، فهـذه الكتـب للـرواد الثلاثـة تقـف علـى حقيقـة المـنهج الموضـوعاتي، وقـد حـاول الباحـث عبـدلي مـن خـلال عملـه القـيّم الموسـوم بـ:"المنهج الموضـوعاتي في النقـد الأدبي . أسسـه وإجراءاتـه"

أن يقف عند حقيقة هذا المنهج وقدرته في الكشف عن أدبيّة النص وجماليته، ثم بناء تصور واضح عن عبقرية مؤلفه.

وقد تجلى هذا للدكتور عبدلي بعد سعة اطلاعٍ على المصادر الأولى لهذا المنهج النقدي والتي أبرزها الدراسات النقديّة التي أنجزها رواده والتي خص بالذكر منها أعمال "غاستون باشلار (Gaston Bachelard)" ومنها " التحليل النفسي للنار" وشاعرية الفضاء "وشاعرية أحلام اليقظة" وكذا كتب "جورج بولي(Georges Poulet)" ومنها " دراسات حول الزمن الإنساني " والفضاء البروستي" إلى جانب أعمال جان بيار ريشار (Jean Pierre Richard) ومنها " الأدب والإحساس"و" عالم مالارمي التخيلي" و" صفحات ومشاهد"، أما كتب "جان بول ويبر(Jean Paul Weber)" فمنها " ميادين الموضوعاتية " و"استندال(Stendhal) البنيات الموضوعاتية للأثر والقدر".

ولا نكون قد جانبنا الصواب ـ فيما نعتقد ـ إذا قلنا إنّ الناقد محمد السعيد عبدلي قد استطاع أن يقف بحقٍ على مفهوم النقد الموضوعاتي ومرتكزاته حينما راح يتقصى حقيقة هذا المنهج من خلال تتبع منابعه الصِرفة التي انبثق عنها. فتمكُّن الدكتور من اللغة الفرنسية وسعة اطلاعه على أعمال رواد النقد الموضوعاتي الغربيين جعلته يرسمُ لنا الطريق البيّن الذي يسلكه هذا المنهج بُغية اكتشاف أدبيّة النص والوقوف على جماليته ورسم صورة واضحة عن عبقرية مؤلفه، وهذا لا يتأتى ـ كما ذكر الباحث ـ إلا بعد معرفة النواة الرحميّة التي انبثق عنها هذا النص والكشف عن تعديلاتها عبر كامل النص، لذلك سعى عبدلي إلى الاطلاع على أعمال كل من جورج بولي(Georges Poulet) وجان بيار ريشار(Jean Pierre Richard)"، وكذا جان بول ويبر(Jean Paul Weber)، فهؤلاء الأعلام الثلاثة يُعدون المصدر الحق للنقد الموضوعاتي، إذ عنهم يصدر هذا المنهج وبفضل أعمالهم تتضح صورته، فقد عكف الدكتور على دراسة أعمال هؤلاء الرواد دراسة معمقة، جعلت صورة المنهج الموضوعاتي واضحة جليّة أمامه ذلك من خلال فهمه لأسسه ومرتكزاته، وقد أثمرت جهوده عن ميلاد مؤلَّف هام جدًّا، صدرت طبعته الأولى في الجزائر عن جمعية الجاحظية سنة "2011" بعنوان "المنهج الموضوعاتي .أسسه وإجراءاته"، قبل أن يتعدّل العنوان في الطبعة الثانية

التي أصدرتها دار التنوير في عام 2020 بالجزائر إذ أصبح "المنهج الموضوعاتي في النقد الأدبي .أسسه وإجراءاته". وقد قسّم الباحث عمله إلى ثلاثة فصولٍ نظرية يتصدرها تمهيدُ استعرض فيه الباحث ما أُلف حول المنهج الموضوعاتي من كتب ورسائل ومقالات، وقد تمت الإشارة من فيه إلى أنّ ما كُتب حول حقيقة هذا المنهج لم يكن كافيًا للإحاطة الجيّدة به، وهذا ما دفعه إلى تأليف هذا الكتاب. يقول الدكتور: « ... وقد كانت هذه الإحاطة بالمنهج بدورها دافعًا أساسيًا لإنجاز هذا الكتاب لتقديمه في صورة أحسن وأدق »[15].

أما بالنسبة للفصل الأول فقد عنونه الباحث بـ" الأسس والمفاهيم " حيث تعرض فيه إلى ثلاثة مصطلحات وهي الموضوع والغرض والموضوعاتية، ووقف الباحث عند مفهوم الموضوع في المعاجم العربيّة وكذا الفرنسية، وقد سجّل هنا اضطرابًا في ترجمة هذه الكلمة من الفرنسية إلى العربيّة، لتعدد معانيها، وبعدها انتقل إلى تحديد مفهوم الغرض باعتباره هو الآخر له دلالة تجمعه بكلمة "موضوع"، ثم كانت له وقفة خاصة عند مصطلح الموضوعاتية كونها تُعدُّ فحوى اهتمام هذا المنهج، لينتقل بعدها الباحث إلى تحديد العلاقة التي تجمع بين المنهج الموضوعاتي والفلسفة الظاهراتية لإدموند هو سرل Edmond Husserl .

وفيما يتعلق بالفصل الثاني من هذا الكتاب فقد جاء يحمل عنوان " المنهج الموضوعاتي " إذ تطرق فيه الباحث إلى جهود علمين من أعلام هذا المنهج في العالم الغربي وهما " جورج بولي(Georges Poulet) " و"جان بيار ريشار (Jean Pierre Richard)" ليقف بعدها عند إجراءات هذا المنهج عند علمٍ آخر من أعلام هذا المنهج وهو "جان بول ويبر (Jean Paul Weber)" مُستعرضًا في ذلك دراسته التطبيقية لأعمال الأديب الفرنسي "استندال(Stendhal)" وكذلك كتابه الموسوم بـ" ميادين الموضوعاتية ".

وقد فصّل الباحث هنا الحديث عن أفكار وأعمال هؤلاء الرواد الغربيين والمتعلقة بهذا المنهج. فهو يُشير إلى أنّ "جورج بولي(Georges Poulet)" لم يكن له اهتمام كبير بالتنظير لهذا المنهج، وغيره من المناهج وإنّما كانت له بعض الآراء النقديّة المهمة والمتعلقة بمسألة الكشف عن وعي الأديب بذاته من خلال وعيه بالزمان والمكان، وبهذا تكون مهمة الناقد الموضوعاتي في نظر "جورج

بـولي(Georges Poulet)" تتمثّـلُ فـي:« القيـام بتحليـل النصـوص الإبداعيـة بهـدف اكتشـاف تلـك الموضـوعات التـي خزنتهـا الـذاكرة مـادة خامًـا منـذ لحظـات الـوعي الأولى»[16]. وبعـدها يقـف الباحـث عنـد مصـطلحات النقـد الموضـوعاتي عنـد "ريشـار (Richard)" فيـذكر لنـا أربعـة مصـطلحات يحـاول الباحـث في ذلـك تحديـد دلالـة كـل مصـطلح، وهـي النـواة، والتمفصـل، والإحسـاس، والقرابـة السـريّة. لينتقـل بعـدها إلى أدوات هـذا المـنهج كمـا يحـددها "جـان بيـار ريشـار (Jean Pierre Richard)" وهـي الحلولية، وحرية المدخل، والقراءة المجهرية، وكذا التكرار.

وقـد أشـار الباحـث "عبـدلي" إلى أنّ هـذا المـنهج النقـدي حقـق على يـد "جـان بـول ويبـر(Jean Paul Weber)" تطـورًا مهمًـا ونضـجًا متقـدمًا، حيـث يقـف الباحـث عنـد فكـرة أنّ الـنص الأدبـي يقـوم على موضـوعاتية واحـدة، ويقصـد بهـا نـواة واحـدة، وقـد تجلّـت هـذه الفكـرة لجـان بـول ويبـر (Jean Paul Weber) مـن خـلال اطلاعـه على الفكـر الفلسـفي والبحـوث العلميّـة، وعـن هـذه الحقيقـة يتحـدث الناقـد عبـدلي فيقـول :« وجـد "ويبـر(Weber)" في كـل مـن الفكـر الفلسـفي والبحـوث العلميـة سـندًا قويًـا لتـدعيم فكرتـه القائلـة بـأنّ الـنص الأدبـي يقـوم على موضـوعاتية واحـدة، أو نـواة واحـدة، مـن ذلـك فلسـفة "هنـري برغسـون (Henri Bergson)" القائلـة بـأنّ النظـام الفلسـفي كلـه يعـود إلى مصـدر واحـد، وكـذا أبحـاث العلـوم الطبيعيـة التي تثبـت أنّ التكـوين البيولـوجي للكـائن الحـي يقـوم على خليـة واحـدة. أمـا الأبحـاث الكيميائيـة والفيزيائيـة فهـي تـذهب إلى أبعـد مـن ذلـك لمـا تكشـف أن نظـام الكـون كلـه قـائم على جـزء متنـاه في الصـغر، وهـو نظـام الـذرة »[17]. فالشـاهد في مـا جـاء في هـذا القـول هـو أنّ العمـل الأدبـي كلـه يرجـع إلى نـواة واحـدة، تـدعى بموضـوعاتية الـنص الأدبـي، فقـد أولى "ويبـر(Weber) "الموضـوعاتية اهتمامًـا مُتميـزًا، وبخاصـة في مرحلـة اكتمالهـا في وعي المؤلـف، لـذلك نجـده يحـدد مفهومًـا لهـا بقولـه: « نعني بالموضـوع الأثـر الـذي تتركـه ذكـرى الطفولـة في ذاكـرة الكاتـب، وإذا عمّمنـا فنقـول في ذاكـرة الفنـان والعـالم والفيلسـوف وغيـرهم، هـذه الـذكرى أو الـذكرى الموضـوعاتية لا تـتم بغيـر وعـي مـن الكاتب، إن ما يتم بعيدًا عن وعيه هي علاقة تلك الذكرى الموضوعاتية بالعمل»[18].

ويحـاول " ويبـر(Weber) " مـن خـلال هـذا التعريـف أنّ يـربط العمـل الأدبـي بالموضوعاتية التي لها علاقة بذكرى من ذكريات الطفولة.

ليقف الباحث عبدلي بعدها عند مفهوم التعديلات والتي هي عبارة عن صور رمزية للنواة المشكلة للنص الأدبي وفي هذا يقول الباحث: « تتشكل بنية النص الأدبي من التعديلات التي تولّدها الموضوعاتية باستمرار؛ فهي تقوم في البداية بدور النواة التي انبثق منها النص ثم تشرع في صناعة مشاهد تماثلها، فتتابع بفضل ذلك امتدادها وتوسعها لتكوّن بنية عالم النص بأحداثه وشخصياته وأزمنته وأمكنته»[19].

ثم يشرع الباحث في عرض مفصّل لمستويات التعديلات التي تقوم بها النواة الرحميّة التي انبثق عنها النص كما جاءت عند "ويبر(Weber)" فيحدد لها أربعة مستويات:

(1/ المستوى الأول: وهو ما يرمز له بمستوى الدرجة الصفر للموضوعاتية (degré zéro du théme) ويقصد به مستوى التواتر الإحصائي (fréquence statistique) وهو تواتر الكلمات والمجموعات السيميائية، ويُمثِّلُ لذلك بتواتر الألفاظ والتعابير التي ترتبط بالعصفور عند مالارمي.

2 / المستوى الثاني: وهنا يرمز له بمستوى الدرجة الأولى ويقصد به مستوى الدرجة الأولى (degré un (ou premier) du théme) ويعني به تلك الصور والاستعارات والالتقاءات غير المتوقعة. حيث تظهر الذكريات الموضوعاتية.

3/ المستوى الثالث: ويرمز له كذلك بمستوى الدرجة الثانية للتعديلات الموضوعاتية (degré deux du théme) وهو مستوى يتم فيه الكشف عن الحالات الجزئية، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ويُمثِّلُ لها كذلك بـ"الشيطان في البفروا" لإدغار آلان بو، حيث يتم التعديل لميناء الساعة بالشكل الدائري للقرية القائمة على ستين منزلاً.

4/ المستوى الرابع: وفيه يتم الكشف عن التعديل في الدرجة الثالثة (degré trois (ou troisiéme) du théme) ويقصد به المستويات الشاملة وهو مستوى الشخصيات ومستوى الأحداث الكلية والألغاز، ويُمثِّلُ هنا لذلك بـ"عفريت الشبه عند مالارمي" لمأتم العصافير الميتة)[20].

ليأتي فيما بعد الفصل الثالث من هذا الكتاب حيث أنّ الباحث قد خصه بعنوان "منطلق النقد الموضوعاتي ومجاله" وحدّد فيه منطلق النقد الموضوعاتي،

إذ وقف في هذا الفصل عند مفهوم التأويل، وعلاقته بالنص والقارئ، ثم وقف عند العنونة، كما أشار إلى ملاحظة هامة جدًّا تتمثل في كون أنّ هذا المنهج لا يدّعي القدرة على اكتشاف أدبيّة النصوص دون غيره من مناهج النقد الأدبي.

وقد جاءت خاتمة هذا الكتاب تحوي حصرًا لأهم النتائج التي توصّل إليها الباحث من خلال هذا العمل المتميّز.

ولم يكتف الباحث "عبدلي" بهذا العمل النظري بل راح يدعمه بممارسة تطبيقية لهذه المقاربة النقديّة، حيث يُشكل البحث الأكاديمي التطبيقي المُتميّز، والجهد المُضني الذي قام به الدكتور، وهو عبارة عن ممارسة نقديّة موضوعاتية حقيقية جاءت موسومةً بـ"عالم كاتب ياسين الأدبي ـ دراسة وفق المنهج الموضوعاتي" تعتبر أنموذجًا مُتفردًا في غاية الأهمية، لا نجد له نظيرًا في الدراسات التطبيقية لهذا المنهج حيث خاض به الباحث تجربة الممارسة النقديّة الموضوعاتية، إذ أنّ الباحث دفعه شغف المطالعة إلى اكتشاف مدونة كاتب ياسين وعوالمها الإبداعية قبل أن يكون له واسع اطلاع على المنهج النقدي الموضوعاتي، وعلى إثر هذه الحقيقة يُحيلنا الدكتور يوسف وغليسي إلى أنّها مزية تحسب للباحث محمد السعيد عبدلي في كونه لم يُخضِع العمل الإبداعي لكاتب ياسين للمنهج الموضوعاتي، بل على العكس من ذلك فالمنهج هو الذي يخضع حينها للنّص، وبيان هذه الشهادة نستشفه من قول الدكتور يوسف وغليسي:« يُشير الباحث ـ يقصد محمد السعيد عبدلي ـ إلى أنّه اكتشف المدوّنة وعوالمها الإبداعية الممتعة ـ يقصد مدونة كاتب ياسين ـ قبل أنّ يخطر بباله المنهج الموضوعاتي، الذي لم تكن له عنه أية فكرة واضحة وهذه إشارة نقديّة في غاية الأهمية، تُبعد عن الناقد شبهات ليّ عنق النص وإخضاعه قسرًا لمتطلبات المنهج وإكراهاته، بمعنى أنّه في وضع نقدي منطقي يقتضي توسُّل منهج لدراسة نصٍّ، لا إقحام نص ضمن غايات منهجية ابتغاء تبرير كفاءة منهجٍ ما»[21].

ويعتبر هذا النموذج التطبيقي الذي قام به الباحث شاهدًا حقًّا على امتلاك الباحث لآليات وأدوات المنهج الموضوعاتي التي طالما عجز عن امتلاكها العديد من الدارسين لهذا الاتجاه النقدي، حيث تضمنت هذه الدراسة التطبيقيّة ثلاثة فصولٍ: جاء فصلها الأول تحت عنوان " عناصر الموضوعاتيّة ". إذ أنّ الباحث قام

في هذا الفصل بتحديد الموضوعاتية التي انبثقت عنها كل أعمال كاتب ياسين، وقد توصّل الباحث إلى أنّ هذه الموضوعاتية هي " جريمة الناظور " التي وردت في رواية نجمة، وقد اهتدى الباحث إلى هذه الحقيقة بعد أنّ بحث في سيرة كاتب ياسين واكتشف علاقته بالأدب العربي القديم، وهنا يستعين الباحث بشهادة الدكتور "أحمد منور" والتي جاء فيها: « أنّ كاتب ياسين قد تأثر بالجو الثقافي لعائلته وكان هذا الجو ذا تقاليدٍ شعرية، إذ أنّ والد كاتب ياسين ووالدته وحتى جده كانوا يقرضون الشعر باللهجة العاميّة ويتبارون فيه فيما بينهم »[22]. فهذا الجو العائلي المفعم بالنشاط الأدبيّ والفكريّ كان له بالغ الأثر في تكوين شخصية كاتب ياسين الأدبيّة. وكان له كذلك أثره في نتاجاته الأدبيّة. أما فيما يخص الفصل الثاني من هذه الدراسة التطبيقية فقد عنونه الباحث بـ" البنية الموضوعاتية في رواية نجمة "وفيه قام الباحث بتتبع مختلف التعديلات التي لحقت موضوعاتية جريمة الناظور التي توصل إليها الباحث فيما سبق، وهي الموضوعاتية التي كوّنت العالم الفني لرواية نجمة.

وفي الفصل الثالث الذي كان عنوانه "البنية الموضوعاتية في عوالم نجمة" درس الباحث فيه باقي أعمال كاتب ياسين ومنها: مجموعة مسرحيات "دائرة الانتقام" و"قصيدة العقاب" و"المضلع النجمي" و"الرجل ذو النعل المطاطي" وكذا الأعمال المتفرقة.

خاتمة:

وختامًا يمكن القول إنّ الدكتور محمد السعيد عبدلي له إسهام كبير في إماطة اللثام عن المنهج الموضوعاتي الذي لا يزال العديد من الباحثين والدارسين يجهلون حقيقته ولا يعرفون أسسه وآلياته التي يوظفها لتحليل النصوص الأدبية وسبر أغوارها، كما أنّ الإحاطة بهذا المنهج تستدعي واسع الاطلاعٍ على منابعه الصِرفة التي كانت سببًا في بروزه إلى الساحة النقديّة المعاصرة، وهذا ما قام به الناقد "عبدلي" حيث إنّه حاول أن يكتشف حقيقة هذه المقاربة النقديّة من مصدرها الرئيسي ومنشئها الغربي أساسًا، فتمكن بذلك من معرفة أسس هذا المنهج وآلياته التي يسخرها لتحليل النصوص الأدبيّة وتفسيرها بغية الكشف عن النواة الرحمية

التي انبثق عنها النص الأدبي، وربما كل النصوص التي يكون مصدرها واحدًا، وهذه النواة هي ما تم الاصطلاح على تسميتها بـ:" الموضوعاتية " .

وتتمة لكل ما سبق لابدّ من كلمة هي بمحلّ الأمانة التي يجب أن تؤدى، فقد ظللت كباحث في هذا الإطار لزمن ليس باليسير أسيرًا لمختلف التعاريف والمضامين التي اهتمت بهذا الموضوع تأصيلاً وتأسيسًا وتوضيحًا، ومع سعة اطلاعي واهتمامي لم أفهم المقاربة الموضوعاتية بالشكل المقبول إلاّ من خلال اطلاعي على مُؤلَّفي الدكتور"محمد السعيد عبدلي"، فقد كان بحقٍ يسعى جاهدًا إلى إبراز هذا المنهج بشكل سلسٍ وقريب إلى الأفهام، وهذا ما يدركه حتمًا كل قارئٍ منصفٍ. وأتمنى أن تولى هذه الأعمال سالفة الذكر القيّمة في بابها، اهتمام كل باحثٍ في المقاربة الموضوعاتية.

مراجع البحث وإحالاته:

1- محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، طبعة الجاحظية، الجزائر،ط1، 2011،ص51.

2-يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط3، 2015، ص147.

3-جميل حمداوي، المقاربة النقدية الموضوعاتية، شبكة الألوكة، .www.alhkah.net

4-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر،بيروت،ط3، 1994، ص 230.

5-بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، مطابع تيبوبراس،1993، ص974.

6-إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة،ط4، 2004،ص1040.

7-أبو البقاء الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،مؤسسة الرسالة، بيروت،ط1998،2،ص827/868.

- 8Dictionnaire de Français. Larousse. Paris. France. 2005. P.421

9- ينظر يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 150.

10-محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، ص28.

11-جميل حمداوي، المقاربة النقدية الموضوعاتية، مكتبة المثقف، المغرب، ط1، 2015، ص 10.

12-المرجع السابق، ص 11.

13- المرجع السابق، ص 137.

14-محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، ص3.

15-المرجع السابق، ص3.

16-المرجع السابق،ص69.

17-المرجع السابق، ص 134 و135.

18-المرجع السابق، ص 137.

19ـ المرجع السابق، ص 147.

20- المرجع السابق، ص 152، 153.

21-يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017، ص 130 و131.

22-أحمد منور، أزمة الهوية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2000، ص 253.

قائمة المصادروالمراجع:

1. محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، طبعة الجاحظية،الجزائر،ط1 ،2011.

2. محمد السعيد عبدلي، عالم كاتب ياسين الأدبي، الطبعة الأولى، دار القصبة، ط1، الجزائر، 2009

3. يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017.

4ـ يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط3، 2015.

5-جميل حمداوي، المقاربة النقدية الموضوعاتية، شبكة الألوكة (.www.alhkah.net) في 2011/04/28

6 ـ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر،بيروت،ط3، 1994. مكتبة لبنان ناشرون، مطابع تيبوبراس،1993.

7ـ بطرس البستاني، محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، بيروت، لبنان،2009.

8ـ إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة،ط4، 2004.

9ـ أبو البقاء الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،مؤسسة الرسالة، بيروت،ط2، 1998.

10 ـ Dictionnaire de Français. Larousse. Paris. France. 2005.

11ـ جميل حمداوي، المقاربة النقدية الموضوعاتية، مكتبة المثقف، المغرب، ط1، 2015.

12 ـ أحمد منور، أزمة الهوية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2000.